

الفصل الثالث : السحر وخداع الشياطين

السحر فى اللغة هو ما خفى ولطف سببه ومنه سُمى السحر لآخر الليل لأن الأفعال التى تقع فيه تكون خفية، فكل شىء خفى سببه يسمى سحراً. أما فى الشرع فينقسم السحر إلى قسمين:

١- شرك لأن صاحبه يستخدم عقداً ورقى أى قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور لكن الله تعالى قال فيهم ﴿ وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ﴾ (١) والساحر من هذا النوع يكفر ويكون حكمه حكم المرتد.

٢- عدوان يقوم فيه الساحر باستخدام أدوية وعقاقير تؤثر فى بدن المسحور وعقله وإرادته وميله فتجده ينصرف عن شخص أو يميل إليه وقد يؤثر فى بدن المسحور بإضعافه شيئاً فشيئاً حتى يهلك أو يؤثر فى تصور المسحور بأن يتخيل الأشياء على خلاف حقيقتها وقد يصل به إلى الجنون، والساحر بهذا النوع لا يكفر ولكن يعتبر عاصياً معتدياً (٢).

وهناك نوع آخر يشبه السحر وإن كان ليس منه وهو الخدع وهو من باب التخيل بنوع من الخديعة كسكين مثقوبة النصاب تدخل فيها السكين ويظن من رآها أنها دخلت فى جسد المضروب بها وهذه الحيل أمور يقدر عليها من تعلمها حيث إن تعلمها ممكن لكل من أراد فعله (٣).

وفى هذا الفصل نتحدث عن بعض الخوارق العجيبة التى تظهر على أشخاص لا تتوافر فيهم شروط الولاية فينخدع جهلة العباد وتلتبس عليهم الأمور لأنهم لا يفرقون بين الحق والباطل، وهذه الخوارق تكون بفعل

(١) البقرة: ١٠٢ .

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد / الشيخ محمد صالح العثيمين.

(٣) الفصل فى الملأ والأهواء والنحل لابن حزم الظاهرى.

الشياطين (١) حيث إن بعض الفاسقين يمارسون السحر عن طريق استخدام الشياطين واستخدام الشياطين لهم فينخدع الناس مما يرونه من عجائب الأفعال وخاصة إن كان هؤلاء السحرة أو الضالون ممن يظهرون في صورة الزهاد الصالحين بينما هم في حقيقتهم أولياء للشيطان من دون الله تعالى قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿أَتَسْخَرُونَهُ وَقَدِيبَتُهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (٣) وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٤) فقد استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله قد سؤل (٥) لهم الشر وأملى لهم وزين لهم الباطل فصموا عن سماع الحق وعمت أبصارهم عن رؤية دلائل الله وآياته فضلوا وأضلوا وصدوا عن سبيل الله يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٦) وهذا الصنف من الناس لو أنهم جاءوا بعجائب الأعمال وغرائب الأفعال فلا يكون هذا إلا استدراجاً من الله تعالى لأعوان الشيطان وجنوده وقد أحسن من قال:

إذا رأيت الشخص قد يطير فوق ماء البحر قد يسير

ولم يقف على حدود الشرع فإنه مستدرج وبدعى

الكرامات الكاذبة لأولياء الشيطان

وذكر ابن عطاء الله السكندري في كتابه «لطائف المنن» عن ابن الحاج أن أحد المريدين كان يحضر مجلس شيخه ثم انقطع عن مجلسه فسأل الشيخ عنه ليعلم ما يمنعه من الحضور، فقال المريد: كنت أجيء لكى أصل وأنا الآن

(١) هذه الخدع الشيطانية رأها ولاحظها مئات الألوف من البشر في كل مكان وزمان بفعل أولياء الشيطان كأن يأتيه الشيطان بأنواع مختلفة من الأطعمة والأشربة أو يطلعه على بعض الأمور أو يحمله إلى بلد بعيد أو غير ذلك من الأفعال.

(٢) الأعراف: ٢٧ . (٣) الكهف: ٥٠ .

(٤) الأعراف: ٣٠ .

(٥) سؤل له: حبيب له وأغرى به .

(٦) الأنعام: ١٢١ .

وصلت فلا حاجة لي في الحضور فأنا أصلي كل ليلة وردى^(١) في الجنة، فطلب منه الشيخ أن يثبت له ما يقول فذهب إليه وقضى ليلته عنده وفي بيت المرید بعد العشاء جاء طائر فنزل عند الباب فقال المرید للشيخ: هذا الطائر يحملني كل ليلة على ظهره إلى الجنة فركبا على ظهره فطار بهما ساعة ثم نزل في موضع كثير الشجر فقام المرید يصلي والشيخ جالس فقال له الشيخ: ليس في الجنة صلاة، فلما طلع الفجر جاء الطائر ونزل فقال المرید للشيخ: قم بنا نرجع إلى موضعنا! فقال الشيخ: ما رأيت أحداً يدخل الجنة ويخرج منها، فأخذ الطائر يضرب بجناحيه ويصيح حتى شاهد الأرض وكأنها تتحرك بهما فطلب المرید من الشيخ أن يركب معه حتى لا يحدث لهما شرأ، فقال الشيخ: هذا يضحك عليك يريد أن يخرجك من الجنة وقرأ الشيخ شيئاً من القرآن الكريم فذهب الطائر وبقياً كذلك إلى أن أشرق الصبح عليهما وإذا هما في مزبلة والعدرة^(٢) والنجاسات حولهما فصفع الشيخ المرید وقال له: هذه هي الجنة التي أوصلك الشيطان إليها^(٣). وفي هذه القصة نرى كيف أن الشيخ لم ينخدع مما رآه من غرائب وعجائب لأنه على يقين من الله سبحانه ويعلم الفرق بين الحق والباطل فلا يلتبس عليه الباطل أبداً وهذا هو الواجب على كل مؤمن، وقد روى القاضي عياض عن الفقيه أبي ميسرة المالكي أنه كان ليلة بمحاربه يصلي ويدعو ويتضرع فإذا المحراب قد انشق وخرج منه نور عظيم ثم بدا له وجه كالقمر وقال له: تملئ من وجهي يا أبا ميسرة فأنا ربك الأعلى، فما كان من هذا الرجل الصالح إلا أن بصق فيه وقال له: اذهب يا لعين عليك لعنة الله^(٤).

وروى عن عبد القادر الجيلاني أنه عطش عطشاً شديداً فإذا سحابة قد أقبلت وأمطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب ثم نودى من السحابة: يا فلان أنا

(١) الورد: الجزء من القرآن أو الأذكار.

(٢) اللالكاني في شرح أصول الاعتقاد.

(٣) اللالكاني في شرح أصول الاعتقاد.

(٤) العذرة: الروث والبراز.

ربك وقد أحللت لك المحرمات، فقال له: اذهب بالعين! قاضمحت السحابة. وقيل له: بم عرفت أنه إبليس؟ قال: عرفتُ بقوله قد أحللت لك المحرمات. ويقول ابن تيمية رحمه الله في رواية أخرى أن إبليس قال له: يا عبد القادر نجوت منى بفقهاك في دينك لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلاً (١). لقد علم هذا العبد المؤمن كذب من يحدثه وعلم أنه الشيطان لأن الله ما كان ليستثنى من عباده شخصاً يحل له حرامه أو يحرم عليه حلاله.

ومن أمثلتها ما حدث من الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام في زمن عبد الملك بن مروان وادعى النبوة وكانت الشياطين تخرج رجليه ويديه من القيد ويمنعون السلاح أن ينفذ فيه وتسيح الرخامة إذا مسحها بيده وكان يرى الناس رجالاً وركباناً على خيل في الهواء ويقول هي: الملائكة، وإنما كانوا جنأً، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه فقال له عبد الملك: إنك لم تسم الله، فسمى الله فطعنه فقتله (٢).

ويقول ابن تيمية رحمه الله: لم تكن نسمع عن تلك الدعاوى الباطلة لهؤلاء الضالين في الصالحين من جيل الصحابة والتابعين ولا أتباعهم ولا علماء الأمة وصالحها ممن شهد لهم بالفضل والاستقامة رضى الله عنهم أجمعين، فلو نظرنا إلى أفضل الأمة وهم جيل الصحابة رضى الله عنهم لم يكن فيهم صاحب بدعة ولا كان فيهم من قال إن النبي ﷺ أو أحد الأنبياء يأتيه في اليقظة أو يخاطبه هو أو غيره من الصالحين من خلال قبورهم وليس منهم من قال إن الخضر أتاه ولا كان فيهم من حملته الجن إلى مكة وذهبت به إلى عرفات في غير وقت الحج كما فعلت ذلك لكثير من الجهال ولا كان فيهم من تأتيه الجن بما تسرقه من أموال الناس وطعامهم فيظن أنه من أصحاب الكرامات - اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

(١) اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد. (٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/١٥٨).

السحر وأولياء الشيطان:

يقول الشيخ أبو بكر الجزائري إن الكرامات الكاذبة والأحوال الشيطانية تحدث نتيجة لخبث روح الأدمى بما يفعله من الكفر والمعاصي حتى تبلغ نفسه درجة من الخبث والشر تتحد بها مع أرواح الشياطين المطبوعة على الخبث والشر وعندئذ تتم الولاية بينهما فيوحى بعضهم إلى بعض ويخدم بعضهم بعضاً كل بما يستطيع فعله ويقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْرَمْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (١) (٢) وهناك أمثلة كثيرة لموالاة بعض الكافرين للشياطين فهناك من كانت تسميه العرب «رئياً» وهو من تألفه الجن ففتراءى له خيالاتهم ويتسمع لقلوبهم وتعلمه ببعض الأخبار ومن أشهر العرب بذلك عمرو بن لحي (٣). وهناك الكاهن وهو من توحى إليه الشياطين قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ يُوْحُونَ إِلَيَّ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ (٤) وقال سبحانه: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ (٥) قال النووي في شرح مسلم: كانت الكهانة في العرب ثلاثة أنواع: النوع الأول: وفيه يكون للإنسان ولى من الجن يخبره بما يطرأ أو يحدث في أقطار الأرض البعيدة عنه. والنوع الثاني: ويكون الكذب فيه أغلب وهو أن يستدل الشخص على الأمور بالأسباب والمقدمات يدعى معرفته بها وله طرق نهى الشرع عنها

(١) الأنعام: ١٢٨ . (٢) منهاج المسلم للجزائري .

(٣) قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أول من سيب السوائب - وهي من الأنعام ما تترك لألتهم فلا تذبح ولا تتركب -، وأول من غير دين إبراهيم عليه السلام، قالوا: ومن هو يارسول الله؟ قال: «عمرو بن لحي أخو بني كعب، لقد رأيت يجر قصبه - أي أمعاه في النار، رواه عبدالرازق وابن كثير» كان عمرو يطعم الناس ويكسوهم في الحج فأطاعه العرب في جميع أمره وكانت هناك صخرة تسمى اللات لأن رجلاً من ثقيف كان يلت عليها العجيب فلما مات قال لهم عمرو: إنه لم يموت ولكن دخل الصخرة فأمرهم بعبادتها فعبدوها، كما أدخل إليهم عبادة هبل الذي جلبه من أرض البلقاء بالشام (مختصر سيرة بن هشام ٥٩/١).

(٤) الأنعام: ١٢١ . (٥) الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢ .

مثل الزجر والطرق والنجوم وكلها من أنواع الكهانة التي نهى عنها فقد قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر..» (١)، وقال ﷺ: «العيافة والطيرة والطرق» (٢) من الجبت، (٣) والعيافة: هو زجر الطير فإن طار جهة اليمين تيامن، وإن طار جهة اليسار تشاءم، والجبت: كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك من الباطل، وقال قتادة رحمة الله في تفسير قوله تعالى: «وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ» (٤): خلق الله هذه النجوم ثلاث: زينة السماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ حظه، وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به (٥). ويقول ابن عباس رضى الله عنهما: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق (٦). وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهم: وذكر منهم الاستسقاء بالأنواء» (٧)، (٨). وقال رسول الله ﷺ نقلاً عن رب العزة سبحانه يقول تعالى: «أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا نبوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب» (٩). وقال ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة

(١) رواه أبو داود فى صحيحه، وابن ماجة فى سننه، والبيهقى فى السنن، والبخارى فى شرح السنن، والهندي فى كنز العمال.

(٢) الطرق: الخط يخط على الأرض ويضرب به على الرمل على سبيل السحر والكهانة.

(٣) رواه أبو داود فى سننه وأحمد فى المسند، والبيهقى فى السنن، والطبرانى فى الكبير، والبخارى فى السنن وتفسيره والهندي فى الكنز.

(٤) النحل: ١٢.

(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه تعليقاً فى كتاب بدء الخلق.

(٦) رواه الطبرانى مرفوعاً عن ابن عباس.

(٧) الأنواء: جمع نوء وهو نجم يسقط فى الغرب من الفجر يقابله من ساعته طلوع رقيبته من المشرق فى كل ١٣ يوماً فكانت العرب تضيف الحر والبرد والمطر إلى الساقط منها.

(٨) متفق عليه، ورواه أحمد فى المسند، والترمذى فى السنن، والبخارى فى شرح السنن وتفسيره، وابن كثير فى تفسيره، والهندي فى الكنز.

(٩) متفق عليه رواه البخارى عن زيد بن خالد الجهنى، والبيهقى فى السنن وابن كثير فى البداية.

ولا هامة ولا صفر^(١)،^(٢) والنوع الثالث من الكهانة أن يكون للإنسان ولى من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء فعن عائشة رضی الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الملائكة تنزل في العنان^(٣) فتذكر الأمر قضي في السماء، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»^(٤). وعن ابن عباس رضی الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «رينا تبارك اسمه إذا قضي أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء سماء؛ حتى ينتهي الخبر إلى أهل هذه السماء، ويخطف الجن السمع فيرمون فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون»^(٥). وعن عائشة رضی الله عنها قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال لهم رسول الله ﷺ؛ «ليسوا بشيء»، قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجن فيقرها»^(٦) في أذن وليه فيخطلون فيها أكثر من مائة كذبة»^(٧). وقد بطل هذا النوع من الكهانة حين بعث الله النبي ﷺ لأن الله حفظ السماء من الجن قال تعالى: «وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ

(١) الصفر: يرى الشيخ ابن عثيمين أن صفر هو الشهر العربي وأن المراد نفي كونه مشتملاً فهو كغيره من الأزمنة مقدر فيه الخير والشر وقد كانت العرب تتشام به (القول المفيد على كتاب التوحيد).

(٢) متفق عليه، ورواه أحمد في المسند، وابن ماجه في سننه، والطبراني في الكبير، والهيثمي في الزوائد، والبيهقي في شرح السنة، والهندي في كنز العمال، وابن حجر في الإصابة.

(٣) العنان: للسحاب.

(٤) رواه البخاري في صحيحه والهندي في كنز العمال، والبيهقي في التفسير، والطبراني في التفسير.

(٥) رواه مسلم في صحيحه والحاكم في المستدرک وأحمد في المسند وصححه الألباني.

(٦) يتيها.

(٧) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما، وأحمد في المسند، والبيهقي في سننه، والبيهقي في شرح السنة، وابن حجر في الفتوح، وابن كثير في تفسيره.

فَوَجَدْنَاهَا مَلُتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رُصْدًا (١) وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ (٣) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب فقالوا: ما ذلك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها، فانظروا ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء! فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاريها فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي وهو ﷺ يصلى بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا الذى حال بيننا وبين خير السماء فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشd فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قرَّانًا عَجَبًا﴾ (٤) (٥) وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي، فإذا حفظوا الكلمة زادوا . فيها تسعاً، فأما الكلمة فتكون حقاً، وأما ما زاد فيكون باطلاً فلما بعث النبي ﷺ منعوا من مقاعدهم، فذكروا ذلك لإبليس لعنه الله . ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك . فقال لهم إبليس: هذا لأمر قد حدث فبعث جنوده، فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلى بين جبلين، فأتوه . أى إبليس . فأخبروه، فقال: هذا الأمر الذى حدث فى الأرض (٦) . وروى ابن أبى

(١) الجن: ٩، ٨ . (٢) الملك: ٥ . (٣) الصافات: ٦، ٨ .

(٤) الجن: ١ .

(٥) أخرجه البخارى (٤٩٢١) ومسلم فى صحيحيهما وذكره الألبانى فى صحيح السنة .

(٦) رواه الطبرانى ورجاله ثقات وأخرجه أحمد فى المسند وذكره فى صحيح السنة النبوية وصححه الألبانى .

شبية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إنه لم تكن قبيلة من الجن إلا ولهم مقاعد للسمع فإذا نزل الوحي؛ سمعت الملائكة صوتاً كصوت الحدد ألقيتها على الصفا^(١)، قال: فإذا سمعت الملائكة خروا سجداً فلم يرفعوا رؤسهم حتى تنزل، فإذا نزل؛ قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فقالوا: يكون كذا وكذا فتسمعه الشياطين فينزلونه على أوليائهم. فلما بعث النبي ﷺ دحروا بالنجوم^(٢).

وهناك العراف وهو من يدعى علم الغيب لكنه دون الكاهن مثل عراف اليمامة رباح بن كحلة^(٣) وقد نهى رسول الله ﷺ عن إتيانه وتصديقه لأنه كاذب مدع فأنه تعالى وحده قد استأثر بالغيب ولم يطلع إلا بعضاً من مرسله على القدر الذى شاء من غيبه لقوله تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَيَّ غَيْبِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ»^(٤) لذلك قال رسول الله ﷺ: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد،^(٥)». وقال ﷺ: «من أتى عرافاً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»^(٦).

وقد كانت هناك حالات أخرى للموالاتة بين الإنس والجن ويقول الجاحظ فى كتاب الحيوان: إن العرب كانت تقول فلان مخدوم وهو لقب يطلق على من يوالى الشيطان وتقول العرب لمن يتمكن الجن من جسدهم «العمارة» حيث يقوم الواحد منهم بالحياة فى عزلة يتوحش فى الصحارى والخرابات ويأكل

(١) أى مثل صوت سلسلة تجر على حجر فقد أخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود مرفوعاً: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان - والصفوان هو الحجر الأملس.

(٢) رواه البيهقى فى السنن والحاكم فى المستدرک وصححه الألبانى.

(٣) الجاحظ فى الحيوان (٤٢٢/٦) وقال: ذكره المسعودى فى مروج الذهب باسم رباح بن عجلة والنعلبى فى ثمار القلوب باسم رباح بن كحلة. (٤) الجن: ٢٦، ٢٧.

(٥) أخرجه أحمد فى المسند والحاكم فى المستدرک، والبيهقى فى السنن، والهندي فى الكنز والمذرى فى الترغيب.

(٦) رواه مسلم فى صحيحه، وأحمد فى مسنده.

الزهُومات^(١) ويراعى سير الكواكب ويغتسل بالماء القَرَّاح^(٢) حتى ينكشف على الجن .

وكل ما ذكرنا من أبواب السحر قد حرمه الله تعالى ونهى عنه الرسول ﷺ لأن السحر يدعو إلى الكفر بالله وهو ما توحىه الشياطين إلى أوليائهم قال تعالى: «وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ»^(٣) لذا قال النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات وذكر منهن السحر»^(٤) . والساحر يقتل لقوله ﷺ: «حد الساحر ضربه بالسيف»^(٥) . وقد ثبت ذلك عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وابنته حفصة وعن عثمان بن عفان وجندب بن عبد الله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبد العزيز وأحمد بن حنبل وأبى حنيفة ومالك وقال الشافعى كذلك: يقتل الساحر إذا كان يعمل من سحره ما يبلغ الكفر أو يؤذى الناس به^(٦) .

واختلف العلماء فى مدى تأثير السحر إلى قولين: القول الأول: إن السحر له حقيقة ويؤثر فى طبائع الأشياء وهذا أمر لا ينكره إلا جاهل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ لأن الله تعالى قد ذكر السحر فى كتابه العزيز وقال إنه مما يعلم وأنه من المسالك إلى الكفر وأنه يمكنه أن يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة لوجوده وتأثيره، كما أن رسول الله ﷺ قد تعرض له وهذا ثابت فى أحاديث صحيحة فقد روت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: سَحَرَ رسول الله ﷺ رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول

(١) الزهُومات: اللحم النتن .

(٢) الماء القَرَّاح: الماء الخالص .

(٣) البقرة: ١٠٢ .

(٤) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وأبو داود فى السنن والنسائى فى السنن، والبيهقى فى السنن، والبعغوى فى شرح السنة، وابن حجر فى الفتح .

(٥) رواه الترمذى (١٤٦٠) فى سننه والبيهقى فى الكبير، والطبرانى فى الكبير، وابن حجر فى الفتح، وابن كثير فى تفسيره، والدارقطنى فى السنن، والهندي فى الكنز .

(٦) الحكمى فى أعلام السنة .

الله ﷻ يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ.. (١)، وَقَالَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَابَهُ شَيْءٌ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيَهُنَّ فَاثْبَتَهُ مِنْ نَوْمِهِ فَقَالَ: «يَاعَانِشَةُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتَهُ، أَتَانِي آتِيَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرَ عِنْدَ رِجْلِي فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرَ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مُطْبُوبٌ (٢). قَالَ: وَمَنْ طَبَهُ؟ قَالَ: لِبَيْدِ بْنِ أَعْصَمٍ قَالَ: فِيمَ؟ قَالَ: فِي مِشْطٍ وَمِشَاطَةٍ (٣). قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جَفِّ طَلْعَةٍ (٤) تَحْتَ رِعْوَفَةٍ (٥) فِي بَلْرِ ذِي أُرْوَانَ (٦). قَالَتْ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَاسْتَخْرَجَهُ.. قَالَتْ: وَنَزَلَتْ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (٧) حَتَّى خَتَمَتِ السُّورَةَ (٨). قَالَ النَّوَوِيُّ: مَا جَرَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ السِّحْرِ أَنَّهُ تَسَلَطَ عَلَى جَسَدِهِ وَظَوَاهِرِ جَوَارِحِهِ لَا عَلَى عَقْلِهِ وَقَلْبِهِ فَمَا وَرَدَ مِنْ رَوَايَاتٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَخِيلُ إِلَيْهِ فَعَلَ الشَّيْءَ وَلَمْ يَفْعَلْهُ هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى التَّخِيلِ بِالْبَصْرِ لَا عَلَى خَلِّ تَطْرُقَ إِلَى عَقْلِهِ ﷻ، وَهَذَا الْحَدِيثُ يَبِينُ أَنَّ السِّحْرَ شَيْءٌ مَادِي لِأَنَّ لِبَيْدِ بْنِ أَعْصَمٍ دَفْنَ أَشْيَاءَ تَمَّ اسْتِخْرَاجُهَا (٩).

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: يَرَى أَنَّ السِّحْرَ لَا يَسْتَطِيعُ تَغْيِيرَ الْأَشْيَاءِ وَإِنَّمَا يَعْمَلُ أَعْمَالًا فِيهَا خِدَاعٌ وَتَخْيِيلَاتٌ فَيَخِيلُ لِلْمَسْحُورِ الشَّيْءَ بِخِلَافِ مَا هُوَ مَوْجُودٌ مِثْلَ الَّذِي يَرَى السَّرَابَ فِي الصَّحْرَاءِ الْقَاحِلَةَ فَيُظَنُّ أَنَّهُ مَاءٌ، وَيَقُولُ ابْنُ حَزْمٍ: ذَهَبَ أَهْلُ الْحَقِّ أَنَّ السَّاحِرَ لَا يَغْيِرُ الْمَوْجُودَاتِ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْشِئَ أَعْيَانًا لِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْيِلَ طَبِيعَةَ الْمَوْجُودَاتِ وَيَغْيِرَهَا لِأَنَّهُ هُوَ خَالِقُهَا.

(١) الْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٧٦٦) وَمُسْلِمٌ (١٧٤/١٤) فِي صَحِيحَيْهِمَا وَأَحْمَدٌ فِي الْمُسْنَدِ وَرَوَى النَّسَائِيُّ نَحْوَهُ.

(٢) مُطْبُوبٌ: مَسْحُورٌ. (٣) مِشَاطَةٌ: مَا سَقَطَ مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَ مِشْطِهِ.

(٤) الْقِطْعَةُ مِنَ طَلْعِ النَّخْلِ الْجَافَةِ. (٥) رِعْوَفَةٌ: صَخْرَةٌ بَارِزَةٌ تَكُونُ عَلَى رَأْسِ الْبَلْرِ.

(٦) بَلْرٌ فِي الْمَدِينَةِ فِي بَسْتَانَ بَنِي زُرَيْقٍ وَرَدَّتْ فِي جَمِيعِ نَسَخِ مُسْلِمٍ (ذِي أُرْوَانَ) وَفِي بَعْضِ نَسَخِ الْبُخَارِيِّ (ذُرْوَانَ) وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

(٧) سُورَةُ الْفَلَقِ.

(٨) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٧٦٦) وَمُسْلِمٌ (١٧٦/١٤) فِي صَحِيحَيْهِمَا. وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي سُنَنِهِ وَأَحْمَدٌ فِي الْمُسْنَدِ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

(٩) صَحِيحٌ مُسْلِمٌ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ (١٧٥/١٤).